مخطوطات ومطبوعات

جواهر البيروني

طبع العلامة كرينكو Krenkow حتى الآن مجموعة من أهم المخطوطات العربية منها «جمهرة اللغة لابن دريد» في ثلاثة مجلدات مع فهرست في مجلد ضخم ومنها «الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني» في أربعة مجلدات ومنها «كتاب التيجان في ملوك حمير وأخبار عَبيد بن شَرْيَة» و«كتاب الحماسة لابن الشجري» و«أخبار النحويين البصريين للسيرافي» ومنها «ديوان طفيل الغنوي وديوان الطِرِمَّاح بن حكيم» و«قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير» و«شعر أبي دهبل الجمحي» و«طبقات النحاة لأبي بكر الزبيدي» و«ديوان مزاحم العقيلي» و«كتاب المجتبي لابن دريد» و«ديوان النعمان بن بشير» وفي ذيله «ديوان بكر بن عبد العزيز العجلي» و«الكتاب المأثور لابن العميثل الاعرابي» و«المناظر لكمال الدين الشيرازي شرح كتاب المناظر لأبي الهيثم البصري» . وهذب كتاب «معاني الشعر الكبير» لابن قتيبة، وكتاب «اعراب ثلاثين سورة» لا بن خالويه، والمجلدات الثلاثة الأخيرة من «التاريخ المنتظم» لابن الجوزي، و«المؤتلف والمختلف» و«معجم الشعراء» لابن المرزبان، و«ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري . الى غير ذلك مما طبع من المقالات في المجلات الألمانية والانكليزية والايطالية والعربية وغيرها مما يعجز مجمع علمي منظم أن ينشر مثله في نصف قرن، وبهذا الامتاع وسعة الاطلاع . ويلومني بعد هذا بعضهم أني أكثر من التنويه بعلماء المشرقيات ولو كان اللائمون على شيء من العلم خدموا به ناحية من النواحي لعذرتهم ولكنهم من الجماعة الذين لم ينشروا ورقة من آثار السلف، وليس لهم من رأس مال إلا الثرثرة، لايعملون ولا يتركون غيرهم يعمل . وعلماء المشرقيات يأتوننا كل يوم ببرهان على تحمسهم في إحياء تراث الأمة العربية، ونشهد في حركتهم اثرهم

العظيم في وقوفنا على عظمة أجدادنا ينادوننا بلسان الحال : انكم معاشر العرب مهما كان من نهضتكم اليوم فهي لاتعادل جزءاً صغيراً مما كان لأجدادكم في القرون الوسطى وقبلها ، أيام كانت الأمم كلها غارقة في لجج من الجهل بعيد ساحله ، وكان العرب وحدهم أصحاب الشأن في العلم والسياسة .

وآخر درة من تلك الدرر التي أظهرها الاستاذ كرينكو كتاب « الجماهر في معرفة الجواهر » من تأليف أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ . والبيروني أعظم رياضي في الإسلام نشأ في خوارزم وتنقل في خراسان والهند وغيرها من بلاد الشرق وهو من أصل ايراني ، لم يطبع له سوى كتابين : كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة » و « الآثار الباقية عن القرون الخالية » من أصل كتبه الكثيرة التي رأى فهرستها ياقوت الحموي في وقف الجامع بمرو في نحو ستين ورقة بخط مكتنز وهي في النجوم والهيئة والمنطق والحكمة والطب والاقرباذين . وقال البيهقي إنها وقر بعير و كتاب الجماهر هذا بدأه بترويحات عن النفس تكلم فيها على مسائل من العلم تروق المطالع وتروضه . ثم تكلم على ماعرف من الجواهر في عهده وعرض لمعادنها وخواصها والغريب منها ، ولما ورد في أشعار العرب من ذكرها . وقال الناشر إن هذا الكتاب يفوق سائر الكتب في أوصاف الجواهر والفلزات لأن المؤلف كان أول من اثبت الثقل النوعي لأكثر الجواهر والفلزات ، وعلم أن هذا الثقل النوعي يمنع من الغش ، اذ لكثير من الجواهر الثمينة مشابهات في اللون والمائية لا تميز إلا بالصلابة والثقل .

وقال ان البيروني يورد أخباراً عن فرائد الجواهر واثمانها في وقته ويتوسع في المسائل اللغوية . وعجب من جودة معرفته لدواوين الشعراء ، ولوجود هذه الدواوين في مدينة غزنة في عصره استدل على انتشار العلوم العربية يومئذ في شرقي خراسان . وقال ان من مزايا هذا الكتاب ان يذكر المؤلف أثناء تعريب الجواهر اسماء لغوية كثيرة لاوجود لها في المعاجم واسماء اجنبية من لغات كثيرة تدل على

تعمق البيروني في هذه اللغات وهذا علم لم نجده في غيره من علماء الإسلام ، ولهذا لانبعد عن الحق إذا عددنا البيروني من أكبر علماء القرون المتوسطة .

وقع هذا الكتاب في ٢٧٢ ص عدا الملاحق والفهارس وطبع في حيدر آباد الدكن في الهند وعلق عليه صديقنا فريتز كرينكو تعليقات أتى فيها على اختلاف النسخ وجلى بعض الأماكن الغامضة بما دل على سعة اطلاعه على الآداب العربية ، وعارضه على ثلاث نسخ وأصحها مانسخه محمد بن احمد المعروف بابن خطيب داريا الدمشقي المتوفى سنة عشر وثمانمائة ، وكان من اعلام الأدب والشعر في عصره يضرب في كل فن بسهم .

وقد جاء في خلال الكلام على المعادن والجواهر فوائد اعتاد الباحثون أن يقعوا عليها في تآليف البيروني منها (ص ٥٠) انه وقع اليه كتاب مكتوب في الشام في زمان عبد الملك بن مروان قد اشتمل على نكت من هذا الفن وقيمة الجواهر في وقته . وهذه الجملة يصح أن تكون وثيقة تاريخية يحتج بها على من أفرطوا في الحط من قدر العرب وادعوا انه لم يمهد لهم تدوين قبل القرن الثاني من الهجرة مع أن التدوين بدأ على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام

كتب البيروني كتبه كلها باللغة العربية كسائر علماء الإسلام من اصول اعجمية . وكان معجباً بالعرب ولغتهم اعجاباً عظيماً تجلى ذلك في كتبه . وقد قال مرة أن الهجو بالعربية أحب اليه من المدح بالفارسية . قال وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتاب علم قد نقل إلى الفارسي كيف ذهب رونقه ، وكسف باله ، واسود وجهه ، وزال الانتفاع به ، ولا تصلح هذه اللغة إلا للأخبار الكسروية والأسمار الليلية . ويذكر قوله هذا بما قال العلامة الزمخشري في رده على الشعوبية أعداء العرب « إنهم لايجدون علماً من العلوم الإسلامية فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها ، والكلام في معظم أبواب الفقه ومسائلها إلا وهو مبني على العربية ، وان بهذا اللسان مناقلتهم في العلم ومحاورتهم وتدريسهم ومناظرتهم ، وبه تصرّ في القراطيس أقلامهم ، وبه تسطر الصكوك والسجلات حكامهم » .

وقال البيروني (ص ٧١) وفي أخبار الفرس التي لا تخلو من زياداتهم لتفخيم أمر الأكاسرة وتفضيل ملكهم والمملكة التي لهم . والبيروني كسائر الفلاسفة يكره التزيد وقال (ص ٨١) ان جميع ما في العالم يستحيل بعضه الى بعض بحسب امتداد زمانه ولكن هذا طريق الشعراء من الإغراق في المدح بالأكاذيب . وذكر في (ص ٢١٥) مجري الخماهن والكرك وان الشيعة يتناكدون السنة بالتختم بأبيضها والسنة يتناكدون الشيعة بالتختم بالسواد فيأتون بالعلم الأسود والعلم الأبيض مكان العقيدة والمذهب ، فساءه ذلك وهو السني المعتدل ، فكان يجمع بين هذين الفصين في زوج خاتم كياداً للفريقين معاً .

وهكذا يعلم الناس العلم ويعلمهم الاعتدال ، ويبغض اليهم التزيد ويكره ذلك من أهل كل مذهب وجيل وطائفة ، ومما قال (ص ١٠٤) وأكثر أصحاب اللغة يجمعون المسموعات في كل طائفة وقبيلة ويفسرون بذلك على المستفيد ضبطها من غير فائدة لهم فيها سوى الإغراق في التفاخر والتكاثر حتى انهم طرحوا الأمانة وصاغوا للاستشهاد فيها شعراً طوقوه أهل المقابر وسموه بالأول والآخر عملاً بما قيل في الوصايا : اذا أردت أن تكذب فكن ذكوراً ، ولا تستشهد بحي حاضر يرده عليك ، واقصد فيها الموتى فانه غيب إلى الأبد .

محمد كرد علي

علم الأمراض الباطنة

تأليف الدكتور حسني بك سبح في سبعة أجزاء

كتبت في المجلد الرابع عشر من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق كلمة موجزة عن الجزء الأول من هذا السفر القيم الذي يعد في عهدنا هذا خير كتاب طبي ألف باللغة العربية ، في علم الأمراض الباطنة على الطريقة المدرسية الحديثة ، جمع إلى غزارة المادة وسعة الموضوع وسمو المطلب براعة التبويب وحسن الاسلوب وسهولة التعبير وفصاحة اللفظ وجودة الطبع وجيد الورق .

وها أني أقدم لقراء هذه المجلة كلمة مختصرة ، عن الأجزاء التي تلته وهي :